✸ سورة النازعات

وهي السورة الثانية من جزء عم وهي سورة مكية، وهي بيِّنة بأنها مكية من خلال موضوعاتها وآياتها.

الموضوع: فهو الحديث عن القيامة.

الآيات: فهي قصيرة وقوية، وذات دلالات واضحة، ومناقشات بيِّنة لهؤلاء الذين كذبوا بالدار الآخرة، وكذبوا بالبعث والجزاء والنشور.

أقسم الله –عز وجل– بخمسة أشياء في مقدمة هذه السورة.:من ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ إلى﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾

✸ المقطع الأول من مقاطع السورة:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾:

النازعات: في الآية هم الملائكة، ملائكة الموت الذين ينزعون أرواح الكفار نزعًا شديدًا.

إذن: النازعات وقد عُطف عليها الناشطات، والسابحات، والسابقات، والمدبرات وقد اختلف فيها و من أسباب وقوع الخلاف بين المفسرين أن يكون الشيءُ صفةً لموصوفٍ، وهذا الموصوفُ لم يُذكر، فعندما تُذكر الصفةُ يُمكن أن تُركَّبَ على هذا وعلى هذا وعلى هذا، فكل واحد من السلفِ يَجتهد في أن يُبيِّن ما هو هذا الشيء الموصوف ، والموصوف يَصلح أن يكون هذا، ويصلح أن يكون هذا، ويصلح أن يكون هذا، لكنْ لا شكَّ أن أحدَ هذه الأقوالِ قد يكون أليقَ بالسياقِ، أو أولى بالآية من بقية الأقوال.

ذكر بعض السَّلف: أن النازعات هي النجومُ

بعضهم قال: النازعاتُ هو الموت.

غَرْقًا: فهي تنزعها نزعًا شديدًا مثلما يجذب الرامي الحبل المعلق بالقوس حتى يرمي بالسهم، فكذلك تُؤخذ أرواح الكفار.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾:

يعني أن هذه الملائكة تأخذ أرواح المؤمنين أخذًا سهلًا رفيقًا كالأنشوطة، أو كالشعرة عندما تخرجها من العجينة.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾:

هذا أيضًا صفة لموصوف لا ندري ما هو، لكن الظاهر أنه موافق لما قبله، وهي الملائكة تسبح في هذا الكون لتنفذ أوامر الله –سبحانه وتعالى–.

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾:

أيضًا هذا وصف للملائكة في أنها سابقة:

إما أن نقول: تسبق بأمر الله ولتنفيذ أوامره وطاعته –سبحانه وتعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وهذا القول أولى والله أعلم

وإما أن يقال: أي إنها تسبقُ الشياطين إلى تلقِّي الوحي قبل أن يَسترِقَّها هؤلاء السمع.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾.

مما حَمَلَنَا على ترجيحِ أن هذه الأوصاف كلها للملائكة قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾؛ لأن السلف لم يختلفوا في أن المدبرات هي الملائكة، اختلفوا في النازعات والناشطات والسابحات والسابقات، اختلفوا فيها. أما المدبرات فلم يختلفوا فيها، فنحن نحتج بإجماعهم على تفسير المدبرات بأنها معطوفة على ما قبلها.

جمهور المفسرين: على أن النازعات والناشطات والسابحات والسابقات هي الملائكة .

➢ الله أقسم في هذه الآيات فأين جواب القسم؟

جواب القسم في القرآن وفي كلام العرب:

1 . إما أن يكون مَذكورًا مُصرحًا به.

مثلًا: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ جواب القسم هو.﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ فإذا صُرح به فالأمرُ واضح.

2 . وإما أن يكون محذوفًا مُقدَّرًا.

إذا لم يُصرَّح به، فلشدةِ العلم به، ، أو لكونِ النفسِ تسبحُ في هَيبةِ ذلك القسمِ، فهي تترقبُ ما الذي يُريد الله –سبحانه وتعالى– أن يُقسمَ عليه، فتصبح هناك هيبة، فكونه لا يذكر أولى من كونه يُذكر.

بماأن السورة تتكلم عن الجزاء والبعث والنشور فجواب القسم هنا : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ الى قوله﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ هو لتُبْعَثُنَّ ولَتُجَازُنَّ بأعمالكم

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾:

الراجفة: هي يوم القيامة، وهي الدلالة على النفخةِ الأولى التي إذا نَفخ فيها إسرافيلُ ارتجفت الأرض، فمات الخلق.

﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ :

سُميت "رادفة"؛ لأنها تأتي رَديفةً للراجفةِ، وهي تابعة لها، و بين الراجفة والرادفة هو كما ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: ﴿بينهما أربعون﴾ ، قيل: يومًا؟ قال: أبيت. قيل: شهرًا؟ قال: أبيت. قيل: عامًا؟ قال: أبيت، يعني أني أقف عند الذي سمعت، قال: ﴿ما بين النفختين أربعون﴾، فأنا سمعت النبي ﷺ يقول: "أربعون"، فلا أزيد على هذه الكلمة لا يومًا ولا شهرًا ولا عامًا.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾

كأن المعنى: إذا بعثتم فرجفت الراجفة، وأتبعتها الرادفة؛ سيكون هناك قلوب في هذا اليوم واجفة.

الواجفة: مأخوذة من الوجيف وهو شدة الاضطراب، أي خائفة ومترقبة، وأصابها من الذهول والرعب الشيء العظيم.

وصف الله عزوجل القلوب بذلك لأن الوجيف يكون أولًا في القلب، ثم يظهر أثره على سائر البدن، فلا يمكن للبدن أن يرتعد خوفا والقلب لم يحصل به خوف.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾:

نسب الأبصار إلى القلوب؛ لأن الأبصار متعلقةٌ بها، فما يكون في القلب يظهر على البصر، ولذلك يُقال: "الإنسان عينه فَرَارُه"، يعني عينه تفرُّ عما في نفسه، فتُبدي له ما إذا كان الذي أمامها صديقًا أو عدوًّا، مواليًا أو معاديًا ، فالعينين تنظر إليهما لأنهما تعبران عما في القلب.

خَاشِعَةٌ: أي ذليلة منكسرة. لأنها تعلم أن المصيرَ شديد، وأنها لم تستعدَّ لهذا اليوم، بل قد كَذَّبت به وقد جاءها البرهانُ والحجة، لكنها كذبت من غير حجة ولا برهان.

﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾:

هذا استئناف يُبين اللهُ فيه ماذا كانوا يقولون في الدنيا، هذا هو الذي جَعَلَهم يخافونَ في الدارِ الآخرةِ، وَجَعَلَهم يَرهبون لقاءَ ذلك اليوم؛ لأنهم كانوا في الدنيا يَقولون: يعني أإنا لراجعون إلى الحياة بعد أن متنا.

بعض المفسرين يقول: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾؛ أي مردودون في النار

والقول الأول أولى، يعني هل يمكن ويعقل أن نرجع أحياءً بعد أن مُتنا وأصبحنا عظامًا نخِرة.

﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾

سنُرد في الحافرة، سنعود مرة أخرى إلى حياتِنا التي كُنا عليها؟! سنكون أحياءً بعد الموت؟ هذا شيء عجيب! هذا شيء نُنكره، شيء نكذب به، لا يمكن أن نصدقه، هذا شيء لا نعقله.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾:

يعني إن رددنا في ذلك اليوم، فتلك الرجعة رجعة خاسرة.

قال الله -عز وجل- مُبينًا أن الأمرَ أيسرُ ما يكون على الله -جل وعلا- وأن هذا الذي استصعبتموه واستثقلتموه وأنكرتموه سيحدث بلا شكٍّ، وأنه ليس شيئًا عزيزًا على الله -عز وجل-.قال ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾:

أي صيحة واحدة يصيحها إسرافيل عندما ينفخ في القرن الذي جعله الله -عز وجل- بنفخة البعث.

الزجرة: هي الصيحة العظيمة التي يكون فيها شيء من الغضب.

﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾:

فإذا هم فوق الأرض التي جعلها الله أرضًا للمحشر والمنشر.

الساهرة: هي الأرض، سُميت ساهرةً؛ لأن عليها سهر الناسِ ونومهم.

فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ: فإذا هم قيامٌ يَنظرون فوق هذه الأرضِ التي قد جعَلَها الله -عز وجل- مكانًا وموئلًا لحشْر الناسِ ونشْرهم.

✸ المقطع الثاني من مقاطع السورة:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾:

هَلْ: هنا استفهام يراد به التشويق. هل أتاك قصة موسى عندما دعا فرعون إلى الله -عز وجل-؟

﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾:

إذ: كلمه الله -عز وجل- على صفة النداء، وقد أخذ علماء أهل السنة- بأنَّ كلامَ الله -عز وجل- لموسى كلامٌ حقيقيٌّ، وأنه بصوتٍ يُسمع؛ لأنه ما وصفه بالنداء إلا لأنَّه يسمع.

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ: اختار وصفَ الربِّ دُون "إذ ناداه الله" ليُبين أنَّ هذا النداءَ كان رحمة، وكان نعمة، فالربوبية دائمًا ملازمة للرحمة والنعمة والعناية والحفظ والرعاية.

بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ: هذه إشارة إلى الوادي الذي كلم الله فيه موسى، وهو في جانب الطور الأيمن.

الْمُقَدَّسِ: بمعنى: المطهر، ومنه روح القدس أي روح الطهر.

طُوًى: اسم للوادي

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾:

هذا هو محتوى النداء.أي اذهب مُكلَّفًا من عندي برسالة إلى فرعون تبلغه بهذه الرسالة، وتأتيه بتلك الآية، وتقيم عليه الحجة.

إِنَّهُ طَغَى : أي عَتَا وزادَ في الكفر.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى﴾:

الله -عز وجل- يُبين له طريق الدعوة، كيف تدعو مثل هؤلاء، وإذا كان هذا في حال الطاغية؛ فحال من دونه من بابٍ أولى

في سورة طه بيَّن الوصف، قال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾، يعني طبيعة النفس لا تحب أن يَقْصُرَهَا أحدٌ على الحقِّ، ولو كانت تعلمُ أنه حق، وهذا يدلنا على ما أعطيه الإنسان من حب لأن تُحترم ذاته وألا يُهانَ أو يشعر بأنه يُرغم على الحق إرغامًا.

هَل لَّكَ: هذه من باب التودد والترغيب والتحفيز.

تَزَكَّى: تُزكي نفسك وتطهرها من الذنوب ومن المعاصي ومن الأعمال السيئة وتسلك الطريق الزاكية التي توصلك إلى الله وإلى جنته وإلى رضوانه.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ :

أي أدلك إلى ربك الذي يربيك وينعم عليك ويعطيك، الذي يرعاك ويحفظ.

فَتَخْشَى: يعني إذا هديتك إليه حصلت لك الخشية منه.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾:

أي جاء بالبينة الدالة على أنه صاحب رسالة، وهذا يدلنا على أن الداعية يجب أن يكون معه أدلة إذا دعا الناس إلى الله -عز وجل-، ولا يأتي مجرد أن يقول لهم: أنا أدلكم على كذا ، فلا بد أن يكون متسلحًا بالحجج والبراهين.

وقد كان من أعظم حجج الله التي يؤتيها للأنبياء هي المعجزات، المعجزات التي تكون براهين تدعوا هؤلاء إلى الله وتدلهم على أن هذه الدعوة الصادرة من الأنبياء ليست دعوة مجردة، لأن هذا الذي يأتون به لا يمكن أن يأتي بشر بمثله.

➢ ماهي المعجزة التي جاء بها موسى؟

جاء بالعصـا واليد

العصا: إذا ألقاها انقلبت إلى ثعبان يتحرك ، ثم إذا أمسكها مرة أخرى عادت إلى كونها عصا.

اليد: كان يدخلها في درع جيبه ثم يخرجها فتكون بيضاء من غير سوء ، ثم يدخلها مرة أخرى فتعود إلى لونها الأول.

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى: أي اليد والعصا.

لأن الله قال له في الوادي المقدس: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾

قال: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾، هذه أول مهمة للعصا، أن أتوكأ عليها عند المشي.

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾:أي أضع عصاي على الشجرة فأهز الشجرة؛ لينزل الحشيش وهو ورق الشجر الذي يحتاجه الغنم وليس بمعنى أسوق بها غنمي.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾:

كذب بهذه الرسالة فلم يؤمن بها، وعصى فلم يطع موسى -عليه الصلاة والسلام- جمع بين التكذيب وبين العصيان.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾:

يعني تولى يعمل بنشاط وقوة في مقاومة دعوة موسى -عليه الصلاة والسلام- ومقاومة هذا الحق الذي جاء به نبي الله وكليمه موسى الآن معنا ﴿يَسْعَى﴾ في سورة النازعات، وسيأتي معنا في سورة عبس أيضًا ﴿يَسْعَى﴾، فهناك سعي في الباطل، وهناك سعي في الحق والخير، وعلى الإنسان إذا سلك طريق الخير والحق فليسعى فيه سعيًا ولا يكتفي بأن يمشي فيه مشيًا وئيدًا هيِّنًا متهاوتًا؛ بل يكون صادقًا فيما يقوم به من الحق.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾:

حشر الناس ونادى فيهم

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى : يُقال: أنه قال هذه الكلمة بعد أن قال لهم أول مرة: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38].

قال بعض السلف: إن بين الكلمة الأولى والثانية أربعين سنة.

وهذا يدل على أن الطاغية يسلك مسالكَ في الطغيان يبدأ بكلمة صغيرة، ثم تكبر، ثم تكبر، حتى تصل إلى أن يقول لهم مثل هذه الكلمة التي هو أول من يعلم أنه كاذب فيها.

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾

فبعد أن وصل إلى هذه المرحلة العظيمة من الطغيان، قال: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾، وهذا يدل على أن عذاب الله ينزل بعد أن يشتد طغيان الناس.

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى: يعني عقوبة الآخرة أي الحياة الآخرة، وعقوبة الدنيا، أما الدنيا فهو أغرقه، وأراه نجاة عدوه وغرقه وذهاب ملكه، وأما الآخرة فله عذاب شديد سواء في قبره وفي آخرته ومنقلبه إذا بُعث يوم القيامة.

الْآخِرَةِ وَالْأُولَى: وصفان لموصوف لم يذكر، ولذلك اختلف السلف.

قيل: الآخرة بمعنى الحياة الآخرة.

وقيل: بمعنى الكلمة الآخرة، لأنه قال في المرة الأولى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ، وقال في الكلمة الأخيرة: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾.

➢ وعلى كلٍّ فأكثر السلف على أن "الآخرة" مستعملة في معناها الذي يدور كثيرًا في القرآن، وهي الآخرة المعروفة التي هي بضد الدنيا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾:

إن في ذلك الذي حكيناه لكم وحدثناكم به من عقوبة الله العظيمة البالغة على هؤلاء لعبرة أي عظة لمن يخشى، من كان في قلبه خشية يتعظ ، فالموعظة لا تُغير ولا تُؤثر إلا فيمن كان في قلبه خشية.

✸ المقطع الثالث من مقاطع السورة:

سؤال:

كيف جاءت قصة موسى متوسطة بين المقطع الأول والمقطع الثالث؟

الجواب

لأن هذا تهديد من الله لقريش، وتذكير بأنهم إن كذبوا بالدار الآخرة فعقوبتهم كعقوبة هؤلاء الذين كذبوا بما جاء به موسى -عليه الصلاة والسلام- عندما قال الله: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾، الله -عز وجل- قال: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، احذروا أن يأخذكم الله يا من كذبتم بالدار الآخرة وكذبتم بما جاء به محمد أن يأخذكم الله نكال الآخرة والأولى ولذلك جاء بعدها فبسط الحديث عن أدلة البعث، وأدلة القدرة : هي الآيات التالية.

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾:

يعني عندما أنكرتم البعث ما الذي حملكم على الإنكار؟ هل لصعوبة هذا على الله -عز وجل-؟ تعالى الله عما تقولون علوًّا كبيرًا.

السماء العظيمة التي خلقها الله، الكبيرة الواسعة البنيان، العظيمة القبة، هذه السماء الله -عز وجل- خلقها وخلقكم أيسر بكثير منها، سواء خلقكم ابتداء أو خلقكم على وجه الإعادة بعد الموت، فما الذي تستغربونه على الله أو تستنكرونه من فعل الله -عز وجل-

﴿بَنَاهَا﴾:

جاءت هذه مبينة ماذا حصل للسماء ثم بين ما هو البناء الذي حصل فقال:

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾:

أي رفع بناءها ومكانها، وسواها أي أحكمها حتى أصبحت بناءً مُحكمًا لا ترى فيها شيئًا من خلل أو عوج أو فطور أو شقوق.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾:

أي أظلم ليلها، جعله مظلمًا

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾:

أي جعل لها نهارًا يخرج من رحم الليل.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾

والأرض العظيمة الضخمة الهائلة التي نحن نعيش فوقها، الله –عز وجل– هو الذي دحاها.

دَحَاهَا: فُسِّرت بعد ذلك بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، فدحوها هو أن يكون فيها العمل الذي عمل عليها من شق الأنهار والجبال، ونبات الأشجار، وحصول المراعي ، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن.

➢ هل يفيد قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أن الأرض خُلقت بعد السماء؟ أم الأرض خلقت قبل؟

1. يقول الله في سورة فصلت:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت 9–11].

2. وقال في سورة البقرة:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ فدلت الآيات على أن خلق الأرض تقدم خلق السماء.

➢ الله عزوجل خلق الأرض، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض، فدحو الأرض جاء بعد خلق السماء

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ :

ثم بيَّن حكمة ذلك فقال:

﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾:

أي جعل الله لكم ذلك متاعًا تتمتعون به أنتم، وتتمتع به أنعامكم.

الله عزوجل عندما ذكر الماء والمرعى وغيرها سوَّى بيننا وبين الأنعام ليبين أنكم إذا اكتفيتم بذلك فأنتم والأنعام سواء، لكن إن ترفعتم فآمنتم وأطعتم واستجبتم لأمر الله فلن تستووا مع هذه الأنعام.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾:

الآن يُبين جزاء هؤلاء وهؤلاء بعد البعث.

الطامة: هي القيامة ، ولها أسماء في القرآن كثيرة: الصاخة، والطامة، والحاقة، وغيرها من الأسماء، وكلما كان الشيء عظيمًا كثرت أسماؤه.

قالوا: الطامة يعني أنها تَطم ما سواها، أي تغطي على كل شيء سواها من شدة هولها، فلا يسمع لها حس ولا صوت ولا يُرى شيء إلا هي من شدة هولها وعظمتها.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى﴾:

أي في ذلك اليوم يتذكر كل واحد منا سعيه، إن كان خيرًا وإن كان شرًا ،وذلك لشدة الهول، فأنت تنسى ما كنت فيه من النعيم، ما فيه من الرزق، ما عندك من الأولاد، ما عندك من الزوجات، أهلك، أقرباءك، كل هذا يُنسى ولا يبقى إلا شيء واحد وهو سعيك، عملك الذي عملته وقدمته.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾:

برزت بمعنى أُظهِرت وأبينت، الجحيم تُرى.

قال النبي ﷺ: ﴿يُؤتى يومَ القيامة بجهنمَ لها سبعون ألف زمامٍ _أي خطام وحبل تُشد به النارُ_ مع كل زمامٍ سبعون ألف ملكٍ يجرُّونها﴾

فعدد الملائكة الذين يجرون جهنم هو أربع مليارات وتسعمائة مليون ملَكٍ يجرون جهنم.

لِمَن يَرَى : يعم الخوف أرجاء المكان، ويهاب الناس أن يحصل لهم هذا المصير، أو يكون لهم هذا المآل .

﴿فَأَمَّا مَن طَغَى﴾:

أي زاد في الكفران والعناد والعصيان والتكذيب ، فعاد مرة أخرى إلى موضوع الطغيان الذي ذكره في قصة فرعون ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾.

﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾:

أي قدمها وقربها، وجعلها مؤثرة عنده، فلم يستعد للآخرة ولم يعمل لها، وإنما جعل المؤثر والمقدم والمقرب هو الدنيا.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾:

أي مأواه يوم القيامة ومآله إلى الجحيم، ولا مآل له سواه.

وبدأ بالترهيب لأن السورة تتحدث عن قوم مكذبين، فالأولى أن تذكر عقوبتهم كما في سورة عم لما ذكر يوم القيامة، قال: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ بدأ بهم لأنهم هم المكذبون بالدار الآخرة.ثم لما انتهى من عقوبة الكفار والمكذبين انتقل إلى جزاء المؤمنين، وهنا كذلك.

الْمَأْوَى: المأوى أي المآل والمثاب الذي يثوب إليه هؤلاء الكفار.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾:

من خاف مقام الله أي صار عنده هيبة من الله –عز وجل– وخوف من لقاء الله –عز وجل– يخاف إذا لقي الله أن يلقاه مكذبًا، وأن يلقاه عاصيًا، وأن يلقاه ساعيًا في الباطل كما حصل من فرعون .

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ: قدم هنا هذه الصفة وهي صفة قلبية؛ لأن عمل القلب هو الذي يكون عليه المرتكز، كل أعمال الجوارح مصدرها ومنبعها من القلب، فمن خاف كفَّت يده عن الحرام، وكفَّ لسانه عن الحرام، وكفَّت عينه عن الحرام، لأنه كلما أراد أن يطلق عينه أو لسانه أو يده أو رجله في الحرام تذكر وقوفه بين يدي الله –عز وجل– فخاف من ذلك.

﴿ وَنهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾:

نهى نفسه عما تهواه، طبعًا الذي يهواه الإنسان شيئان:

- إما أن يهوى شيئًا أباحه الله له.
- وإما أن يهوى شيئًا قد حرمه الله عليه.

الهوى ليس بذاته مذمومًا، ولكن لكونِ كثيرٍ من الهوى مذمومًا؛ صار إطلاق الهوى في القرآن غالبًا على هذا المذموم، وإلا أنا أهوى الطعام، أهوى المنام، هذا الهوى لا يلام الإنسان عليه، لأنه هوًى يوافق ما أباحه الله وما شرعه رسول الله ﷺ

وَنهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى: المقصود هنا هو الهوى الذي يخالف أمر الله ويكون فيه معصية الله.وسمي الهوى بذلك ؛ لأنه يَهْوِي بصاحبه في دَرَكاتِ الشقاء والسفول .

﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

إذن: الجنة لها شرطان:

أن تخاف مقام الله، وإذا خفت مقام الله؛ فإنك لا يمكن أن تتأخر عن أمر أمرت به، ولا يمكن أن تبقى في مكان نُهيت عنه.

وأن تنهَي النَّفْس عَنِ الْهَوَى: يعني لم يجعل ما يسوقه في أعماله هو هواه، وإنما الذي يسوقه هدى الله.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾:

ختمت السورة بطرح مشكلة دائمًا يطرحها الكفار على النبي ﷺ عندما يذكرهم بالقيام وبالجزاء والبعث، يقولون له: متى الساعة؟ هل تخبرنا عن القيامة ويأتي الجواب صريحًا وواضحًا:

أيان مُرْسَاهَا: يعني متى موعدها؟ متى تأتي؟

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾:

ليس شأن الساعة وقيامها من شأنك.

﴿ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾:

أي مستقرها ومنتهى علمها إلى الله؛ لأن الله قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: 34]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: 187]، والمقصود بالساعة إذا وردت في القرآن: أي وقت قيام الناس من قبورهم.

مُنتَهَاهَا: أي علمها إلى الله -عز وجل- هو الذي يعلمها ويعلم متى تقوم.

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ﴾:

المهمة التي بعثناك بها، وأرسلناك لتحقيقها هي: النذارة.

➢ لِمَ لم يقل الله عزوجل: إنما أنت منذر ومبشر؟

لم يقل ذلك لأن الحديث هنا عن قوم يكذبون، وعن قوم قد عصوا وكذبوا ما جاء به رسول الله ﷺ فقدم صفة النذارة وأفردها، وإلا فرسول الله ﷺ نذير وبشير

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾:

الرسول ﷺ منذر لكل أحد، للثقلين الإنس والجن، المؤمن والكافر، فخصَّ بذلك من يخشاها لكون الموعظة تنفع من يتذكر ويخشى الله -عز وجل- بخلاف من لا يتقي ولا يخشى فهو لا تنفعه النذارة ولا البشارة وهذا مثل قول الله -عز وجل- ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45]، مع العلم أن القرآن يذكِّر به الجميع، لكن الذي يخاف الوعيد هو الذي ينتفع، ولكونه ينتفع يُقال: ذكره بالقرآن، أو انذر بهذه القيامة من يخشى النار أو من يخشى الله -سبحانه وتعالى-.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾:

يُصور الله حالهم عندما يرون القيامة التي كذبوا بها، ويرون الساعة التي أنكروها.

يقولون وهم يتذكرون ما سلف من حالهم وحياتهم وغناهم وعيشهم الطويل في الدنيا: والله ما لبثنا إلا سويعات، كأننا لبثنا جزءًا من النهار، أوله أو آخره.